

- السنة: الأولى.

- التخصص: جدع مشترك

- المقياس: فقه اللغة.

- تطبيق.

- فوج (1+2).

-أ/د: موسى شروانة.

مادة فقه اللغة	السداسي الثاني وحدة التعليم الأساسية
	مدخل: فقه اللغة (نشأة المصطلح، مفهومه) الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة والفولولوجيا
	نظريات نشأة اللغة الإنسانية: المحاكاة. التواضع والاصطلاح. الإلهام.....
	اللغة العربية واللغات السامية، اللغة العربية ولهجاتها.
	علاقة اللفظ باللفظ: 1- العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها.
	2- النبر في اللغة العربية.
	3- الأبنية والأوزان.
	علاقة اللفظ بالمعنى: 1- الترادف (أسبابه. اختلاف الدارسين حول وجوده
	2- المشترك اللفظي.
	3- التضاد.
	علاقة اللفظ بالاستعمال: 1-
	الاشتقاق (مفهومه، أنواعه، العام، الكبير، الأكبر، الكبار "النحت
	2- الدخيل
	3- المعرب
	4- المولد في اللغة
	5- الإعراب وبناء الكلمة في العربية.

في مصادر فقه اللغة ومراجعها:

أ- المصادر:

- 1- ابن جني(أبو الفتح عثمان):
 - الخصائص.
 - سر صناعة الإعراب.
- 2- ابن فارس(أحمد): صاحب في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها.
- 3- الثعالبي(أبو منصور): فقه اللغة وسر العربية.
- 4- السيوطي: (جلال الدين): المزهري في علوم اللغة وأنواعها.
- 5- سيبويه: الكتاب تحقيق عبد السلام هارون.
- 6- الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم.
- 7- ابن الأنباري(أبو بكر): كتاب الأضداد.

ب- المراجع:

- 1- عبد الواحد وافي:
 - فقه اللغة.
 - علم اللغة.
- 2- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة.
- 3- عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام.
- 4- محمود السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي.
- 5- عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية.
- 6- إبراهيم أنيس:

- الأصوات اللغوية.
- دلالة الألفاظ.
- في اللهجات العربية.
- من أسرار اللغة.

- 7- أولمان ستيفن: دور الكلمة في اللغة.
- 8- أحمد محمد مدور: مدخل إلى فقه اللغة العربية.
- 9- محمد مصطفى رضوان: نظرات في فقه اللغة.
- 10- حاكم مالك العيبي: الترادف في اللغة.
- 11- أحمد مختار عمر:
- دراسة الصوت اللغوي.
- علم الدلالة.
- 12- مجدي إبراهيم محمد: بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين.
- 13- رمضان عبد الثواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي.
- 14- محمود فهمي حجازي:
- البحث اللغوي.
- علم اللغة العربية.
- علم اللغة العربية بين التراث والمناهج الحديثة.
- 15- تمام حسان:
- الأصول: دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب.
- اللغة بين المعيارية والوصفية.
- مناهج البحث في اللغة.
- 16- ماريو باي : أسس علم اللغة.
- 17- كمال بشر:
- دراسات في علم اللغة العام.
- علم اللغة العام: الأصوات.
- 18- زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري.
- 19- محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية.
- 20- محمد عبد الكريم الرد يني: فصول في علم اللغة العام.

- مفاهيم المصطلحات الثلاثة في المدخل:

1- مصطلح فقه اللغة:

أ- مفهوم المصطلح في القديم:

1- مفهومه عند ابن فارس:

نص من كتابه الصاحبي:

"قال الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395 هـ):

هذا الكتاب "الصاحبي" في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها.

وإنما عنونته بهذا الاسم لأنني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة- تجملاً بذلك وتحسناً، إذ كان ما يقبله، مرضياً مقبولاً، وما يردله أو ينفيه منفياً مردولاً، ولأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه. فأقول:

إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً:

أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا:

رجل وفرس، وطويل وقصير.

وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها، وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً.

والناس في ذلك رجلان: رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معاً، وهذه هي الرتبة العليا، لأن بها يُعلم خطاب القرآن والسنة، وعليها يعول أهل النظر والفُتيا.

والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين، رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء. وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، وبسط مختصر، أو شرح مشكل أو جمع متفرق." ص5

- تحليل النص في علاقته بمفهوم المصطلح.

أوضح ابن فارس في نصح أنه ألف كتابه وجعل عنوانه:

"الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"

هذا العنوان ينطوي على بعض الإشكالات، ولكي يفهم كاملاً بتركيبته المكونة له ومنه مفهوم مصطلح (فقه اللغة) الوارد فيه، فإنه من الأهمية تفكيك هذه التركيبية إلى عناصرها ثم الوقوف بالتحليل عند كل عنصر منها فيما يلي:

1- كلمة (الصاحبي) يشير بها ابن فارس إلى الصاحب بن عباد الذي كان صديقاً حميماً له؛ ويحظى عنده كوزير بمكانة مرموقة وتقديراً منه له وللصداقة المتينة بينهما فقد أهداه كتابه ليضعه في خزانته تجملاً وتحسناً كما أشار إلى هذا بقوله:

"إنما عنوانه بهذا الاسم لأنني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل... تجملاً بذلك وتحسناً".

2- مفهوم المصطلح:

مصطلح (فقه اللغة) في الجزء الثاني من العنوان لا يشمل الجزء المتبقي منه وهو "سنن العرب في كلامها"؛ لأن هذا الجزء معطوف بالواو على الجزء الأول (فقه اللغة) وهو يشير إلى وجود فرق بينه وبين الجزء المتبقي من العنوان.

فمصطلح (فقه اللغة) وهو يمثل (الأصل) تبعاً لتقسيمه دراسة اللغة إلى (أصل وفرع) يختص بدراسة جانبها التاريخي والحضاري وذلك بالبحث عن أوليتها ونشأتها وتطورها كما هو واضح من قوله:

"وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب في مخاطباتها...".

أما القسم الآخر ويسميه (الفرع) فيختص بدراسة الخصائص التعبيرية لهذه اللغة وقد عبر عن هذه الخصائص التعبيرية بقوله: "وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً".

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن الجانب المتعلق بالخصائص التعبيرية أخذ حيزاً كبيراً من حجم كتابه عرض فيه لمسائل عديدة ومتنوعة منها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية والبلاغية وغيرها.

وبناء على ما تقدم فإن دراسة اللغة العربية تشمل عنده قضاياها العامة وخصائصها التعبيرية.

وهو يرى أن الأصل والفرع في هذه الدراسة يتكاملان والدارس الحذق هو من يحرص على أن يتناول الجانبين معاً لأنه بذلك يصل إلى المرتبة العليا في دراسته لها.

والغاية من دراسة اللغة من جوانبها المتعددة والمختلفة هي- في نظره- فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعلم بهما معاً كما في قوله:

" لأنه لا يكاد يجد منه في كتاب الله- شيئاً فيخرج إلى علمه... ويقل مثله أيضاً في ألفاظ رسول الله (صلعم)...".

2- مفهوم المصطلح عند الثعالبي:

قال أبو منصور الثعالبي(ت429هـ):

" من أحب الله تعالى أحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ومن أحب العربية التي بها نزل الكتب، على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها... إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد... ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بهما فضلاً يحسن فيهما أثره.

وقد اخترت لترجمته، وما أجعله عنوان معرفته، ما اختاره أدام الله توفيقه من (فقه اللغة) وشفعته(بسر العربية) ليكون إسماً يوافق مسماه، ولفظاً يطابق معناه...".

- تحليل النص في علاقته بمصطلح فقه اللغة:

في هذا النص المقتطع من مقدمة طويلة لكتاب(فقه اللغة وسر العربية)، يتحدث الثعالبي من السياق الذي جعله يؤلف كتابه؛ وهو يتضمن جملة من القضايا هي كالاتي:

- 1- أن تأليف هذا الكتاب جاء للتعبير عن حبه للغة العربية، وحب هذه اللغة هو جزء من الدين والإيمان بالله، ورسوله الكريم (صلعم).
- 2- أن اللغة العربية هي أداة لفهم الدين وفهم القرآن والحديث النبوي الشريف.
- 3- ارتباط محتوى الكتاب وتقسيماته بالأهداف السابقة، وهي خدمة اللغة ومن وراء هذه الخدمة هي فهم الدين من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
- 4- التصريح بأن عنوان كتابه قد اختير بعناية ليكون معبرا ودالا عما يريد أن يحققه من أهداف، وهو يتكون من جزئين: الأول هو (فقه اللغة)، والثاني هو (سر العربية).

ومن الملاحظ أن هذا العنوان شبيه إلى حد كبير بعنوان كتاب ابن فارس فالشبه الأول يتمثل في مصطلح (فقه اللغة)، والثاني يتمثل في (سر العربية) وهو اختصار لتعبير "سنن العرب في كلامها".

ومن هذا يتضح لنا أن الثعالبي قد تأثر بابن فارس في صياغة عنوان كتابه، وهو في هذا التأثر قد عمل على تأكيد الاستخدام للمصطلح في الدراسة اللغوية. وحين ندقق فيما قصده بمصطلح فقه اللغة بربطه بمحتوى الكتاب فإننا نجد أنه يعني به الجانب المعجمي، حيث جمع في هذا الجانب العديد من الألفاظ، وصنفها في مجالات أو حقول دلالية مثل جمع الألفاظ التي تبدأ بـ (كل) ولذلك سمي (الكليات) ومن أمثلته:

- كل ما علاك وأظلك فهو سماء.
 - كل أرض مستوية فهي سعيد.
 - كل حاجز بين الشيين فهو موبق.
 - كل بناء مربع فهو كعبة.
 - كل بناء عال فهو صرح.
- ومثل الألفاظ التي تبدأ بـ (أوائل الأشياء وأواخرها) منها فصل في سياقة الأوائل مثل:

- الصبح: أول النهار.
- الغسق: أول الليل.
- الوسمي: أول المطر.

- البارض: أول النبت.

- اللُّمَاع: أول الزرع.

- اللَّبَاء: أول اللبن.

- السُّلَاف: أول العصير.

- الباكورة: أول الفاكهة.

- الطليعة: أول الجيش.

- البكر: أول الولد.

وكل حقل من هذه الحقول جعله في باب وتحت كل باب عدد من الفصول وهكذا. وما قام به في هذا الجانب يمثل القسم الأول من الكتاب، أما الجزء المتبقي من العنوان وهو (سر العربية) فقد خصه بالحديث عن الخصائص التعبيرية للغة العربية وذلك على غرار ما فعل ابن فارس كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهو يمثل (القسم الثاني) من الكتاب، ولكن حديثه عن الخصائص التعبيرية في هذا القسم جاء أقل حجماً من حديثه عن القسم الأول.

ومما سبق يتضح لنا أن مصطلح فقه اللغة أطلقه على ما جمعه من ألفاظ اللغة العربية أما (سر العربية) فقد عني به الخصائص التعبيرية لهذه اللغة، وهي كثيرة ومتنوعة، ومن الأمثلة التي أوردها على الخصائص قوله:

- فصل في الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو مستقبل ولفظ المستقبل وهو ماض.

- قال الله عز ذكره: أتى أمر الله؛ أي يأتي.

- قال جل ذكره: " فلا صدق ولا صلى " أي لم يصدق ولم يصل.

- وقال عز من قائل في ذكر الماضي بلفظ المستقبل وفي القرآن " وكان

الله غفوراً رحيماً " أي كان ويكون وهو كائن الآن، جل ثناؤه.

- وفصل في المفعول يأتي بلفظ الفاعل.

- تقول العرب: سر كاتم: أي مكتوم.

- ومكان عامر أي معمور.

- قال تعالى: " خلق من دافق " أي مدفوق.

وهذان الجانبان يتكاملان في دراستها وهما يؤديان في النهاية إلى خدمتها وخدمة الدين والعقيدة الإسلامية كما أشرنا من قبل.

ب- مفهوم المصطلح في الحديث:

استمر تداول مصطلح (فقه اللغة) بين الدارسين وأخذ مكانته بين المصطلحات اللغوية في العصر الحديث، ولكن تداوله فيما بينهم بالمفهوم القديم الذي رأيناه عند ابن فارس، والثعالبي لم يكن محل اتفاق ويمكن إيجاز المواقف منه فيما يلي من خلال النصوص:

1- عند عبد الواحد وافي، وصبحي الصالح، ومحمد المبارك:

فبعد الواحد وافي ألف كتابه (فقه اللغة) وصرح في مقدمته بأنه سوف يقصر حديثه فيه على فقه اللغة بالمفهوم العام الذي يتناول قضاياها العامة وخصائصها التعبيرية، ولكنه لم يلتزم بوعده وتناول جوانب خارجة عما تناوله العرب كما لاحظ ذلك عليه أحمد محمد قدور بقوله:

"والدليل على عدم التزامه أن العنوان (فقه اللغة) ليس فقه اللغة العربية، وأن قسما كبيرا من بحوث الكتاب يدور حول اللغات السامية وخصائصها".

وهو في هذا الكتاب يسوي في المفهوم بين مصطلح (فقه اللغة) و(علم اللغة).

وقد ذهب إلى مثل هذه التسوية كذلك صبحي الصالح في كتابه (دراسات في فقه اللغة) كما صرح عن هذا بقوله:

"وإنه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئا وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية لأن كل علم لشيء فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعا أن تسمى فقهًا".

وقد شاطر محمد المبارك زميليه في كتابه (فقه اللغة) حيث رأى أنه لا يوجد فرق بين فقه اللغة، و علم اللغة كما في قوله:

" أن علم اللغة بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين (علم اللغة) أو (فقه اللغة) وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لباحث اللغة".

2- عند عبد الصبور شاهين، وعبد الراجحي:

هذان الدارسان يعارضان تسوية مصطلح (فقه اللغة) بمصطلح (علم اللغة) لأن لكل منهما خصوصية في مفهومه ولا يجوز تسوية أحدهما بالآخر وبيان رأي كل منهما نجده في بعض ما قالاه.

فالأول وهو عبد الصبور وشاهين كشف عن معارضته بقوله:

" فإن هناك فرقا بين مفهوم المصطلحين في الثقافة القديمة والحديثة، وهو فرق ينبغي أن يراعى عند استعمال أيهما نظرا إلى أن أغلب ما بأيدينا الآن من الكتب التي تحمل عنوان (فقه اللغة) أو (علم اللغة) إنما يجري على الاستعمال الحديث وهو اعتبار العنوان الأول خاصا بدراسة اللغة العربية وخصائصها على حين يستخدم الثاني استخداما شاملا في كل ما يتصل بالعربية وغيرها من اللغات من فصيلتها أو من غيرها".

2 - أما الثاني عبد الراجحي فقد قال:

" عرفت الدراسات اللغوية في جامعاتنا مصطلح فقه اللغة ثم عرفت مصطلح علم اللغة ولم يسلم استعمال المصطلحين من خلط أدى إلى اضطراب في فهم كل علم وفي تحديد ميدانه؛ فرأينا من يكتب كتابا في فقه اللغة، وهو يعنى علم اللغة".

2- مصطلح علم اللغة:

عرف هذا المصطلح في التراث العربي وكان يستخدم بالمعنى العام في دراسة اللغة كما أوضح ابن خلدون بقوله:

"هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية..." ويقصد بالموضوعات دراسة النحو والصرف، وتراكيب اللغة وألفاظها، وظواهر أخرى مثل الترادف والمشتراك والدخيل وغيرها.

وعرف أيضا في العصر الحديث مع ظهور كتاب: فرديناند دي سوسير "محاضرات في علم اللغة العام" الذي طبع سنة 1916 بعد وفاته بثلاث سنوات أي في سنة 1913م.

وفي هذا الكتاب حدد الميدان الذي يدرسه علم اللغة، بقوله:

" إن موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" كما جاء في ترجمة عبد الراجحي.

وهو يقصد أن الموضوع الذي يعالجه (علم اللغة) هو اللغة ذاتها وليس شيئا آخر، ولا ترتبط هذه اللغة بلغة معينة كالفرنسية والانجليزية أو العربية أو غيرها من اللغات، وإنما اللغة كظاهرة اجتماعية بصفة عامة، وهي تظهر بصورة فعلية في أشكال مختلفة كما أوضح الدكتور: محمود السعران في كتابه (علم اللغة).

هذا هو مجال (علم اللغة) أما الغاية من هذا العلم فهي أنه يدرس اللغة في ذاتها، وهو لا يدرسها لأغراض تربوية أو لأغراض عملية أخرى أو تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر" كما يقول محمود السعران، وإنما يدرسها لذاتها.

أما منهج دراستها فهو المنهج الوصفي، وآلية هذا الوصف هي تحليلها إلى أربعة مستويات هي:

- المستوى الصوتي.
- المستوى الصرفي.
- المستوى النحوي.
- المستوى الدلالي.

وهذه المستويات هي التي يجري العمل بها في دراستها، وإن كان بعض الدارسين يضيفون إليها مستويات أخرى، ولكن هذا لا يخل بمنهجها العلمي الذي حدده فرنديناند دي سوسير في كتابه.

3- الفيلولوجيا:

هذا مصطلح مركب من لفظين هما (فيلوس philos) ومن معانيها الحب أو الصداقة ومن (لوقوس LOGOS) ومعناها الكلام أو اللغة والمعنى الإجمالي هو حب الكلام أو اللغة.

لقد شاع هذا المصطلح في الدراسات اللغوية عند الغربيين قبل ظهور مصطلح (علم اللغة)، وهو يعني عندهم (فقه اللغة)، وهو بهذا المفهوم يقابل مصطلح (فقه اللغة) في التراث العربي مع وجود فارق بينهما.

حظي هذا المصطلح باهتمام عند الدارسين وفي حديثهم عنه أوضحوا أن مجاله واسع وشامل في دراسة اللغة حيث يشمل الثقافة والتاريخ، والعادات والتقاليد كما جاء عند ماريو باي: Mario Pei في كتابه (أسس علم اللغة) بقوله:

"أن موضوع(الفيلولوجيا)لا يختص بدراسة اللغات فقط، ولكن يجمع إلى ذلك دراسة تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والإنتاج الأدبي للغات، موضوع الدراسة".

وفي هذا ما يوضح المجال الذي تختص به الفيلولوجيا فهو مجال تاريخي واسع في دراسة اللغة، وهذا الاتجاه التاريخي في دراستها كان شائعا قبل نهاية القرن التاسع عشر، وحين ظهر كتاب(محاضرات في علم اللغة العام)لفرديناند دي سوسير تغير طابعها التاريخي، وأصبح طابعا وصفيا وتبعاً لهذا التغير تغيرت غايتها فبعد أن كانت غايتها تاريخية حضارية ثقافية صارت غايتها محددة ومحصورة فيما تختص به كلغة تدرس في ذاتها ولذاتها كما أشرنا من قبل عند تحليل مقولة:(دي سوسير).

تمهيد :

تعرضت اللغة التي يستعملها الإنسان في تواصله مع غيره من أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، ومنها اللغة العربية إلى عدد من التفسيرات في أصل نشأتها. وعرفت هذه التفسيرات بنظريات نشأة اللغة. وقد حظي البحث في هذه القضية بعناية في الدرس اللغوي العربي القديم فابن فارس المتوفى سنة 395هـ بدأ كتابه بالحديث عن أصل نشأتها، وخصها ابن جني المتوفى 392هـ في كتابه (الخصائص) بحديث حاول فيه أن يقدم تفسيراً لنشأتها وكذلك فعل السيوطي المتوفى سنة 911هـ في كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها). وسوف نعرض نصوصاً موجزة تتضمن بعض ما قالوه في أصل نشأتها، وسنبداً بأحمد بن فارس.

1- نظرية التوقيف:

يقول ابن فارس في كتابه (الصاحبي):

باب القول على لغة العرب

أتوقيف، أم اصطلاح؟

أقول: إن لغة العرب توقيف.

ودليل ذلك قوله جل ثناؤه: "وعلم آدم الأسماء كلها" فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس، من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار، وأشياء ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خصيف عن مجاهد قال: علمه اسم كل شيء.

وقال غيرهما: إنما علمه أسماء الملائكة.

وقال آخرون: علمه أسماء ذريته أجمعين.

والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس.

فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال: "ثم عرضهن أو عرضها".

فلما قال: "عرضهم" علم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة، لأن موضوع الكناية في كلام العرب يقال لما يعقل: "عرضهم". ولما لا يعقل: "عرضها أو عرضن".

قيل له: إنما قال ذلك- والله أعلم- لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل، وهي سنة من سنن العرب، أعني باب التغليب. وذلك كقوله جل ثناؤه "والله خلق

كل دابة من ماء: منهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين،
ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير"
فقال "منهم" تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم.

فإن قال: أفقولون في قولنا: سيف وحسام وعضب، إلى غير ذلك من أوصافه:
إنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مصطلحا عليه؟

قيل له: كذلك نقول.

والدليل على صحة ما نذهب إليه اجتماع العلماء على الاحتجاج للغة القوم فيما
يختلفون فيه أو يتفقون عليه. ثم احتجاجهم بأشعارهم. ولو كانت اللغة مواضعة
واصطلاحا لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج واصطلاحنا على
لغة اليوم، ولا فرق.

مفهوم التغليب: التغليب يقصد به ترجيح أحد الأمرين على الآخر وذلك بأن نطلق لفظا واحدا فيعطي حكم غيره.
أو هو بعبارة أخرى أن تجري المختلفين مجرى المتفقين وذلك بأن تعطيهما حكما واحدا.

- تحليل موجز للنص:

يذهب أحمد فارس في هذا النص إلى أن اللغة العربية توقيف بمعنى وحي أو إلهام
وليست اصطلاحا أو مواضعة أجماعية بدليل قوله تعالى في سورة البقرة آية (31):
وعلم آدم الأسماء كلها واعتمد في هذا على تفسير عبد الله بن عباس رضي الله
عنه (ت سنة 68هـ) بقوله:

" علمه الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض
وسهل وجبل وحمار وأشياء من الأمم وغيرها".

ولكن هناك من اعترض على هذا التفسير معتمدا في ذلك على قوله تعالى: "عرضهم"
ولم يقل: "عرضها أو عرضهن" فلعله يقصد أسماء الملائكة أو أسماء
كبار الناس من بني آدم، غير أن ابن فارس أكد ما ذهب إليه عبد الله بن عباس
بأن المقصود هو جميع الأسماء، ولا يقصد (التبويض) سواء أكان الأمر يتعلق
بالملائكة أم بأسماء من بني آدم، وأن الضمير (هم) في (عرضهم) ليس إلا من
قبيل (التغليب) المعروف في اللغة العربية، وهو خاصية من خصائصها التعبيرية

واستدل على هذا التغليب بنص من القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة النور-
آية 45:

" والله خلق كل دابة من ماء منهم من يمشي على بطنه، و منهم من يمشي على
أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير" فقال: " منهم" تغليبا لمن
يمشي على رجلين وهم بنو آدم".

والخلاصة أن ابن فارس يرى أن اللغة توقيف أو إلهام وليست اصطلاحا، ورأيه
فيها يمثل (نظرية) من نظريات البحث في نشأة اللغة وهي نظرية التوقيف.

2- نظرية الاصطلاح:

لا بد من الإشارة قبل عرض هذه النظرية إلى أن ما قاله ابن فارس في أصل نشأة
اللغة يمثل نظرية من نظرياتها، وما قاله ابن جني فيها في كتابه (الخصائص)
الذي سبقت الإشارة إليه يمثل نظرية أخرى مخالفة لها، وهي نظرية الاصطلاح.
لقد حاول ابن جني أن يعرض هذه النظرية ويبين وجهة نظره فيها في كتابه
السابق تحت عنوان: باب القول على أصل اللغة إلهام أم اصطلاح؟.
وما قاله تحت هذا العنوان طويل لا يحتمله هذا المقام ولذلك نكتفي بجزء مما قاله
وقد بدأه بقوله:

هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو
تواضع واصطلاح، لا وحي (وتوقيف).

إلا أن أبا علي رحمه الله، قال لي يوما، وهي من عند الله، واحتج بقوله سبحانه: "و
علم آدم الأسماء كلها" وهذا لا يتناول موضع الخلاف. وذلك أنه قد يجوز أن
يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا
محالة. فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به. وقد كان أبو علي
رحمه الله أيضا قال به في بعض كلامه. وهذا أيضا رأي أبي الحسن، على أنه لم
يمنع قول من قال: إنها تواضع منه. على أنه قد فسر هذا بأن قيل: إن الله سبحانه
علم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات: العربية، الفارسية، والسريانية،
والعبرانية، والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات؛ فكان آدم وولده يتكلمون بها،
ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات، فغلبت عليه،
واضمحل عنه ما سواها؛ لبعدهم عنها. ص 41.42

تحليل النص:

في هذا النص يوضح ابن جني رأيه بطريقة لا تحتاج إلى تأويل؛ فهو يقول في
قضية نشأة اللغة: إنها (تواضع واصطلاح) ويؤكد هذا بما ينفي القول بالوحي
والتوقيف الذي سبق أن تعرفنا عليه عند ابن فارس، ببداية حديثه بقوله: هذا
موضع محوج إلى فضل تأمل وكأنه يريد أن يقول لابن فارس ولكل من ذهب
مذهبه بالقول إنها وحي وتوقيف؛ لأن الأمر فيها يحتاج إلى تفكير طويل وإلى تأمل
غير قليل في طبيعتها باعتبار أن لها وظيفة اجتماعية إنسانية وهي التواصل
والنفاهم وذلك طبقا لقوله الشائع عنها في كتابه (الخصائص) " إن اللغة أصوات
يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

وهو في هذا يشير إلى أن الذين قالوا فيها بالوحي والتوقيف قد تسرعوا في الحكم، ولم يأخذوا طبيعتها الوظيفية ودور المجتمع الإنساني في إنشائها. وزاد من التأكيد على رأيه بالاستناد إلى دليل آخر وهو يتمثل في (الأكثرية) بقوله: (إن أكثر أهل النظر...) والأكثرية حجة شرعية لا يمكن تجاهلها أو نكران أهميتها. ومعنى هذا أن ابن جني يأخذ برأي الأغلبية في قضية نشأة اللغة، والرأي المخالف له لا يمثل إلا الأقلية. وهو في هذا يلتقي مع علماء اللغة المحدثين الذين يبعدون التفسير الغيبي لنشأتها، وينظرون إليها على أنها ظاهرة اجتماعية تنشأ بفعل المواضعة الاجتماعية. ومصدق هذا قوله عنها في التعريف السابق لها بأنها "أصوات" ثم قوله إنها تختلف باختلاف (القوم) ثم قوله: "يعبر بها كل قوم".

وبعدما أوضح هذا بجمل قصيرة تحمل الكثير من الدلالات ذهب إلى عرض رأي أستاذه أبي علي الفارسي الذي يقول فيها بالوحي والتوقيف استناداً إلى الآية الكريمة "وعلم آدم الأسماء كلها".

وهو في هذا يقف في طرف مناقض لرأي أستاذه ولكن ابن جني يستدرك على أستاذه بأنه قال له ذات يوم إن اللغة تواضع واصطلاح مما يجعله يتفق مع أستاذه أبي علي الفارسي. وهنا يتضح لنا أن ابن جني يأخذ بالتواضع والاصطلاح في نشأة اللغة. ومن الطبيعي أن يذهب فيها هذا المذهب فهو معتزلي والمنعزلة أصحاب عقل وهم يقدمون الدليل العقلي في البحث على الدليل النصي الذي يأخذ به ابن فارس ويأخذ به أبو علي الفارسي. ويعتبر هذا تحولاً مهماً في التفكير اللغوي في القرن الرابع الهجري على يد ابن جني.

3- نظرية المحاكاة:

قال ابن جني في كتابه (الخصائص):

"وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل".

وقال الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية):

فصل فيما يليق بهذا الباب من الحكايات

عن ثعلب، عن سلمة، عن الفراء.

قال: سمعت العرب تقول:

غاق غاق، لصوت الغراب.

وطاق طاق، لصوت الضرب.

والطقطقة حكاية ذلك. عن الليث عن الخليل.

تقول العرب في حكاية صوت حوافر الخيل على الأرض:

حَبَطَقَطَق. وأنشد:

جرت الخيل فقالت حبططق حَبَطَقَطَق.

قال ابن الإعرابي: ومثلها: الدفقة.

قال: وشيَّب شَيَّب: حكاية جرع الإبل الماء، وقد نطقت به أشعار العرب.

قال: وَغَقَّ وَغَقَّ، حكاية غليان القدر.

وفي الحديث: إن الشمس لتتقرب يوم القيامة من الناس، حتى إن بطونهم لتقول: غَقَّ غَقَّ.

قال: والدَّبْدَبَة، حكاية صوت الدباب كأنه: دَبْ دَبْ. ص 244

تحليل النص:

هذا النص يختص بالحديث عن النظرية الثالثة في أصل نشأة اللغة، وهي (نظرية المحاكاة). والمقصود بهذا أن اللغة في أصل نشأتها جاءت عن طريق محاكاة المسموعات أو لما سمع في الطبيعة، وليست إلهاما أو اصطلاحا كما رأينا في النظريتين السابقتين. ومن المعلوم أن هذه النظرية يقول بها كثيرون من علماء اللغة منهم: ابن جني في كتابه (الخصائص) والثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية). وهذا النص يتضمن رأييهما معا. ففي الأول منه عرض ابن جني رأيه فيها بقوله:

"وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات" وقد ضرب أمثلة على هذا الرأي بذكر طائفة من الأصوات التي جاءت محاكاة للطبيعة سواء ما تعلق منها بأصوات الحيوانات التي تمثل الجانب الحي فيها أم بالأصوات الميتة. ففي الجانب الأول المتعلق بالطبيعة الحية فقد ذكر منها ما يلي:

- الشحيج وهو صوت الحمار.

- النعيق وهو صوت الغراب.

- الصهيل وهو صوت الفرس.

أما الجانب الميت أو الجامد فقد ذكر منها:

- الدوى وهو للريح.

- الحنين وهو للرعْد.

- الخريز وهو للماء.

وختم حديثه بقوله: وهذا عندي وجه صالح، ومذهب مستقبل" ويعني بهذا أن نظرية المحاكاة تلقي تأييدا عنده، وهو يأخذ بها، وقد سبق أن رأيناها يأخذ بنظرية الاصطلاح وينكر الوحي الذي تمثله النظرية الأولى فيها.

إن أخذ ابن جني بهذه النظرية لا يعني أنه يتناقض مع قوله بالاصطلاح التي وصفها بأنها تمثل الأكثرية على حين قال في نظرية المحاكاة إنها تمثل اتجاها عند بعض علماء اللغة بدليل قوله: (ذهب بعضهم) وهذا البعض لا يمثل إلا جزءا من قوله: (إن أكثر أهل النظر...).

وفي هذا ما يشير إلى أن ابن جنى لا يرى تناقضا فيما بين النظرتين، بل إنهما يتكاملان معا باعتبارهما من قبيل المواضعة الاجتماعية.
أما الثعالبي فقد اكتفى بعرض طائفة من الأصوات التي تمت فيها المحاكاة للمسموعات في الطبيعة والحياة، وكانت عنده متنوعة أكثر من الأمثلة التي عرضها ابن جنى حيث اشتمل بعضها على أصوات الحيوانات كما جاء فيما يلي:

- غاق وهو صوت الغراب.
- الطقطقة وهو صوت حوافر الخيل.
- حبططق وهو صوت لجري الفرس.

كما اشتملت الأمثلة الثانية على محاكاة الطبيعة العامة الجامدة مثل:

- الطاق وهو صوت الضرب.
- الدفقة وهي صوت الدق.
- غق وهو صوت غليان القدر.

إن هذه النظرية لا يقول بها ابن جنى والثعالبي فقط، وإنما يقول بها كذلك بعض علماء اللغة في العصر الحديث ويضربون لها أمثلة بصوت الكلب (هُوَ هَوُ) وصوت الهر (نَوُ نَوُ) إلى غير ذلك ولكنها نظرية ضعيفة لا تلقى رواجاً كبيراً لدى دارسي اللغة.

- الألفاظ ودلالاتها:

تمهيد:

من المعروف أن اللغة نظام من الرموز الصوتية أو كما عرفها ابن جني هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ولكن غير المعروف هو علاقة هذه الرموز الصوتية بالمدلول أو المعنى، فهل هناك علاقة بين اللفظ، ومدلوله الذي في أذهاننا؟ وهل هناك صلة بين الصوت(طالب) وما يدل عليه؟ لتوضيح هذه العلاقة بين الصوت ومدلوله نستعرض فيما يلي بعض النصوص تعالج هذه العلاقة:

أ- أشكال العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها:

1- العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها:

قال جلال الدين السيوطي(ت911هـ):

" وقد عقد ابن جني في الخصائص بابا لمناسبة الألفاظ للمعاني وقال: أعلم أن هذا موضح شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته". قال الخليل: كأنهم توهموا في الجندب استنطالة ومدا فقالوا: (صر) وفي صوت البازي تقطيعا: فقالوا: (صرصر). ويواصل شرح هذا الكلام بقوله:

" ويعني هذا أنه آلتفت إلى وجود صلة بين صوت الجندب والفعل الذي يدل عليه(صر). وبسبب تشابه صوت البازي وصوت الجندب مع وجود اختلاف في الكيفية، جاء الذي يصف صوت البازي مضعفا: (صرصر)."

2- العلاقة بين اللفظ ومدلوله في تكرار الصوت:

وفي هذا العلاقة يقول ابن جني(ت392هـ):

" وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط: من ذلك: الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الزعزعة، والفقلقة والصلصلة (صوت الطين اليابس) و(الققعقة) (ترجيع الصوت). وقال مرة أخرى موضحا: من ذلك أنهم جعلوا تكرير العين يقصد عين(فعل) في المثال دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر، وقطع، وفتح وغلق. فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما.

3- العلاقة بين اللفظ ومدلوله في الصيغة:

تتميز اللغة العربية بخصائص عديدة. من هذه الخصائص أنها لغة اشتقاقية. ومعنى هذا أن لكل صيغة اشتقاقية فيها دلالة معينة. وقد أولى علماء اللغة عنايتهم بهذه العلاقة في تراثنا اللغوي منذ أن بدأ البحث اللغوي في القرن الثاني الهجري كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها. ومن الأمثلة التي تتردد في كتب هؤلاء العلماء في العلاقة بين اللفظ

وصيغته قولهم: (الفعالن) إنها تأتي، لتدل على الاضطراب والحركة نحو النقران (الوثوب والصعود) والغليان والغثيان وما إلى ذلك، ولهذا قال سيبويه (ت180هـ): " قابلوا بتوالي حركات الأمثال (يقصد الأبنية) توالي حركات الأفعال ". إن هذه العلاقة ثابتة ومؤكدة ولا يخلو منها كتاب من كتب اللغة التي تدرس خصائص اللغة العربية، بل هناك كتب خاصة للبحث في هذه العلاقة، وما زال البحث فيها متواصلاً لكونه من المباحث الهامة في تطور اللغة العربية من خلال خصائصها التعبيرية المتجددة. ومن البحوث الجديدة في هذا الجانب ذلك البحث القيم الذي حاول فيه صاحبه أن يثبت العلاقة بين الصيغ الصرفية ودلالاتها في القرآن الكريم وربطهما بالإعجاز القرآني وذلك في كتابه الذي يحمل عنوان: "الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم" للدكتور حسن هندأوي.

ب- أشكال العلاقة بين اللفظ ومدلوله:

لا تقتصر العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها على ما قدمناه سابقاً، وإنما تمتد إلى ظواهر كثيرة لها ومن ظواهرها ما يلي :

1- المشترك اللفظي:

يعرف المشترك اللفظي بأنه اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر. ومن الأمثلة على ذلك لفظ العين الذي تناولته كتب القدماء. فهذا اللفظ يدل على معان عديدة كما جاء عند الأصمعي (ت216هـ) في كتابه الأجناس، منها:

- 1 - العين: النقد من الدراهم والدنانير، ليس بعرض.
- 2- العين: مطر أيام لا يقلع.
- 3- العين: عين الإنسان التي ينظر بها.
- 4- العين: عين البئر، وهو مخرج مائها.
- 5- العين: عين النفس، أن يعين الرجل الرجلَ ينظر إليه فيصيبه بعين إلى غير ذلك.

أما الأسباب الداعية إليه فهي كثيرة، وقد حاول السيوطي (ت911هـ) أن يحددها بقوله:

" اختلف الناس فيه، فالأكثر على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعين، بأن يضع أحدهما اللفظ لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى، ويشتهر ذلك بين الطائفتين في إفادته المعنيين، وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد سأله رجل عن النبي(صلعم) وقت ذهابها إلى الغار: من هذا؟ قال: هذا رجل يهديني السبيل".

ويفهم من هذا القول أن هناك سببين لهذه الظاهرة:

- أ- الاختلاف بين الناس في وضع اللفظ للمعنى، سواء أكان ذلك من قبل أفراد أم جماعات كما هو الحال بين لغات القبائل العربية المتباعدة عن بعضها.
- ب- التموية لدفع الضرر، مثل استعمال كلمة السبيل بمعنى الطريق أو الدين والإيمان بالرسالة التي جاء بها الرسول (صلعم).

وهناك أسباب عديدة أخرى يضيق المقام لعرضها هنا.

2- الترادف:

عرفه القدماء من اللغويين، بأنه الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد أو هو الدلالة بأكثر من لفظ على معنى واحد كالسيف والصارم فإنهما دلا على شيء واحد". هذا هو مفهوم الترادف، وهو ظاهرة شائعة في اللغة العربية. وقد عالجه القدماء في كثير من كتبهم. ولكنهم انقسموا حوله إلى فريقين:

- الفريق الأول يعترف بهذه الظاهرة، ويرأها ماثلة في اللغة، ولا سبيل إلى إنكارها، والأمثلة على ذلك عديدة منها السيف الذي له العديد من الأسماء، مثل الصارم والحسام والمهند والقاطع إلى غير ذلك. ومن الكتب الهامة التي بحثت هذه الظاهرة كتاب حديث بعنوان: الترادف في اللغة لصاحبه: حاكم مالك لعبيبي.

- الفريق الثاني يعترض على هذه الظاهرة ويقدم أدلته من واقع الأسماء التي قدمت للسيف على أنها صفات له أو اتحادها في الدلالة على الذات التي هي السيف. وقد عرض السيوطي في كتابه المزهر في علوم اللغة وأنواعها وجهات النظر المختلفة من هذه الظاهرة بقوله:

" قال العلامة بن جماعة في شرح جمع الجوامع: حكي الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال كنت: بمجلس سيف الدولة بطلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف. قال ابن خالويه: أين المهند، والصارم وكذا وكذا؟ قال أبو علي: هذه صفات. وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة".

لقد عرف العرب هذه الظاهرة، وتعاملوا معها على أنها واقع سواء أكان ذلك على سبيل أنها صفات لشيء واحد أم على أنها أسماء وليست صفات، وكانت مثار خلاف فيما بينهم كما أشار السيوطي، وإلى الآن ما زال النقاش فيها متواصلا بين الدارسين للغة شأنها في ذلك شأن أي قضية لغوية مثيرة للخلاف باعتبارها شأنًا من شؤون البحث في قضايا اللغة، وظواهرها التعبيرية.

على أنه مهما كان هذا الخلاف بين المؤيدين والمعارضين لها وفيما إذا كانت لها سلبيات أم إيجابيات، فإنها تبقى ظاهرة لغوية موجودة في اللغة العربية ولا نريد الخوض في تفاصيلها هنا لضيق المقام لننتقل إلى ظاهرة أخرى وهي التضاد .

3- التضاد:

يقصد بالتضاد في الاصطلاح اللغوي القديم، استخدام اللفظ بمعنيين متضادين أو التعبير بلفظ واحد عن معنيين متضادين مثال على ذلك كلمة (الجون) فهي تطلق على الأسود والأبيض، وكذلك لفظ(الجلل) فهو يطلق على العظيم،والحقير وفي مثل هذا أيضا لفظ(الساحر) فهو يطلق على ما هو مدموم،وسيء،وللحقير،ويستدل على هذا بقوله تعالى في سورة الزخرف (49):

" وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك".
" أراد يا أيها العالم الفاضل؛ لأنهم لا يخاطبونه بالذم والعيب في حالة حاجتهم إلى دعائه لهم، واستفادة إياهم من العذاب والهلكة".

هذه نماذج مما ورد عند القدماء في معالجتهم هذه القضية أو الظاهرة وهي مثل غيرها من الظواهر التي كان لها أنصار كما كان لها معارضون وقد أشار بعضهم إلى هذا الخلاف عند الدارسين بقوله:

"وقد كانت الأضداد ومازالت بهذا المعنى مرادا للقول عند الباحثين، وموضعا للجدل عند العلماء والدارسين، فمنهم من قال بإمكان وقوعها وعد وضعها في مألوف القوانين اللغوية والمواضع الاصطلاحية، وذلك لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، وذكروا من عللها وأسبابها وشواهدا الشيء الكثير، من هؤلاء الأصمعي(ت216هـ) وأبو عبيدة(ت213هـ)السجستاني(ت255هـ)، وابن السكيت(ت244هـ)وقطرب(ت206هـ)وابن الأنباري(ت328هـ)كما يبدو ذلك واضحا من مصنفاتهم وآرائهم المنتثرة في كتب اللغة والأدب".

" ومنهم من أنكر هذه الأضداد إنكارا عنيفا وأبطلها إبطالا تاما، وتأول ما ورد منها في اللغة ونصوص العربية، وأشهر من أعلن هذا الرأي ابن درستويه(ت347هـ) فإنه ألف كتابا أسماه (إبطال الأضداد) وذهب إلى جحد الأضداد جميعها".

والجدل في هذه القضية لم يقتصر على القدماء وإنما امتد إلى المعاصرين أو إلى دارسي اللغة اليوم ولا يخلو كتاب من كتب اللغة ذات الاهتمام بالحديث عن خصائص اللغة العربية، من التعرض لها ومحاولة مناقشتها بالإثبات أو النفي لها. ومن المؤيدين لها (محمد نور الدين المنجد) حيث خصص لهذه القضية كتابا بعنوان: الأضداد في القرآن الكريم.

ومهما كان هذا الخلاف في القديم والحديث وما أدى إليه من نتائج، فإن الاهتمام بها يدل على أنها مثل سائر القضايا اللغوية التي عرضنا لها فهي تجد من يؤيدها، كما تجد من يعارضها. ولا شك في أن هذا النقاش يثري البحث اللغوي، ويوضح أمورا كثيرة، وإن كان لا ينفي وجودها في عرف الاستخدام اللغوي لأنه هو المعول عليه في هذه القضية، ونقصد بهذا أن الدراسات السياقية للنصوص هي التي تكون المنطلق لهذه القضية بالنفي أو الإثبات.

الاشتقاق

- مفهومه وأنواعه:

للغة العربية خصائص كثيرة تتميز بها. ومن هذه الخصائص ما يعرف فيها بالاشتقاق:

والسؤال هنا ما هو هذا الاشتقاق؟

ثم ما هي أنواعه؟ وما هي الكيفية التي يتم بها؟.

مفهوم الاشتقاق: هو أن تنزع كلمة من كلمة أخرى، على أن يكون ثم تناسب بينهما في اللفظ والمعنى. فمن مصدر السمع مثلا يشتق الفعل الماضي (سمع) واسم الفاعل (سامع) واسم المفعول (مسموع) إلى آخره. وتكون جميع هذه المشتقات، متفقة في حروفها الأصلية، وفي ترتيب تلك الحروف، وفي المعنى الأصلي للمصدر وهو السمع. واختلافها إنما هو في الصيغة فقط أي في صيغة الفعل الماضي، وصيغة اسم الفاعل، وصيغة اسم المفعول إلى آخر ما هنالك من صيغ كالتالي تدل على الفعل المضارع وعلى اسم الزمان والمكان والمبالغة وأمثال ذلك. فهذا النوع من الاشتقاق يسمى الاشتقاق الصغير.

أما إذا كان بين الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة في اللفظ والمعنى دون ترتيب في الأحرف، فهذا النوع من الاشتقاق يسمى الاشتقاق الكبير والاشتقاق بالقلب ومعناه تقديم بعض أحرف الكلمة الواحدة على بعض مثل: جذب وجَبَد، ففيهما نرى الأحرف في كل من الفعل الأصلي والفعل المشتق واحدة، ونرى المعنى فيهما واحدا أو مقاربا، ولكن ترتيب الأحرف قد اختلف. وعلى هذا نقول: إن جذب مشتق بالقلب من جذب (لأن جذب أكثر تداولا وشيوعا من جبذ) وهكذا نقول في عدد كبير من الألفاظ التي اشتقت بالقلب، أي بتغيير مواقع الحروف.

وثمة نوع ثالث من الاشتقاق يسمى الاشتقاق الأكبر أو الإبدال وهو انتزاع لفظ من لفظ مع تناسب بينهما في المعنى والمخرج، واختلاف في بعض الأحرف، نحو عنوان الرسالة و علوانها. ففي الثانية أبدلت اللام من نون الأولى. ويقولون إن النون واللام متناسبتان في المخرج، فكلتاهما من أحرف الذلاقة أي أحرف طرف اللسان والشفة.

والخلاصة إن الاشتقاق خاصية هامة من خصائص اللغة العربية ولهذه الخاصية علاقة بنمو اللغة، وتكاثرها، وتعدد معانيها وهي إمكانية في يد الكاتب أو المبدع، ليعبر عن معانية، وأفكاره بسهولة.

ويعود الفضل في التنبيه إليه إلى ابن جني (ت392هـ)، وقد تحدث عنه في كتابه الخصائص، ومنه نقتطف لكم هذا النص الموجز:

هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر. لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستتر حاله ويتعلل به، وإنما هذا التقليل لنا نحن. وستراه

فتعلم أنه لقب مستحسن وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير. فالصغير ما في الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلا من الأصول فتنقراه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ معنى السلامة في تصرفه؛ نحو سلم، ويسلم، وسلمان، وسلمى والسلامة والسليم: اللديغ، أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة.

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف منها من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شئ من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد" ج2 ص135.136.

المعرب

1- مفهومه:

يقصد بالمعرب ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها. هذا هو التعريف الذي شاع بين القدماء، وقد ذكره السيوطي في كتابه الشهير: (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) أما في عصرنا الحالي فيعرف بالاقتران أو الاقتباس أو الاستعارة.

وحسب التعريف الذي ذكره السيوطي فإن المعرب يعد ظاهرة لغوية مستمدة في الأصل من حضارات الشعوب الأجنبية اقتضته الضرورة أو الحاجة إلى التجديد والتنوع والتلوين فدخل اللغة العربية وصار من مفرداتها ومن حصيلتها المعجمية، ولكنه لا يسمى معرباً إلا بعد أن تدخل عليه تعديلات أو تغييرات ليتناسب مع أنظمتها الصوتية والصرفية ليسهل الاشتقاق منه ومن الأمثلة التي يذكرها القدماء لهذا المعرب:

- 1 - طه سريانية.
- 2- الطور سريانية.
- 3- الربانيون سريانية.
- 4- الصراط رومية.
- 5- القسطاس رومية.
- 6- الفردوس رومية.
- 7- المشكاة حبشية.

وغيرها ومن الملاحظ أن هذه الكلمات قد جاءت في القرآن الكريم. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل يصح أن يقال إن في القرآن الكريم كلمات أعجمية مع القول في الآن نفسه إنه قرآن عربي مبين فكيف يمكن التوفيق بين الأمرين أو الرأيين المتناقضين؟.

2- ما هي مواقف علماء اللغة من المعرب؟:

في الإجابة عن هذا السؤال نجد علماء اللغة ينقسمون إلى فريقين بين موافق على وجود كلمات أجنبية في القرآن الكريم، ومعارض لها، ومن الموافقين على وجود هذه الظاهرة في القرآن قول أحدهم: وزعم أهل العربية أن القرآن الكريم ليس فيه من كلام العجم شيء لقوله تعالى: "إن جعلناه قرآنا عربيا" الزخرف (3). وقوله كذلك "بلسان عربي مبين" الشعراء (195).

وحين اشتد الخلاف بين الفريقين وجد من حاول أن يقدم تفسيراً توفيقياً لهذا الخلاف ومن هؤلاء أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت213هـ) في القرن الثاني الهجري بقوله:

" والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً؛ ذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بها بألسنتها وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق؛ ومن قال أعجمية فهو صادق".

وإلى جانب هذا الرأي التوفيقى بين الرأيين، نجد رأياً آخر لا يخالف رأي أبي عبيدة ولكنه يحاول أن يبين بعض الفروق بين كلمات أخضعها العرب لكلامهم، وينطبق عليها المفهوم السابق للمعرب. أما ما بقي من الكلمات التي لم تدخل عليها تلك التعديلات فقد كانت متوافقة مع كلام العرب، وهي في هذه الحالة ليست في حاجة إلى إدخال التعديلات عليها، وصاحب هذا التفريق بين الكلمات هو أبو حيان بقوله:

- الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام:
- قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكم أبنيته في اعتبار الأصل، والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع: نحو: دِرْهَم، وَبَهْرَج.
- وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو: أَجْر، وَسِفِير.
- وقسم تركوه غير مغير، فلم يلحقوه بأبنية كلامهم ولم يعد منها، وما ألحقوه بها عُدَّ منها مثال الأول: خُرَاسَان ولا يُثَبَّتُ به فَعَالَان.

3 - أشهر من كتب في المعرب:

وأشهر من القدماء من كتب في المعرب هو: أبو منصور الجواليقي (ت540 هـ) حيث خصه بكتاب اسماء: (المعرب من الكلام الأعجمي) وقد نوه به السيوطي بقوله: " وقد ألف في هذا النوع الإمام أبو منصور الجواليقي كتابه: (المعرب في مجلد)، وهو حسن ومفيد".